كُنّاشة: (٢٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا مُحمَّد وأهلِ بيته الطَّاهرين.

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.

****

الآراء القرآنيّة

للشّيخ جعفر بن كمال الدِّين البحرانيّ

إبراهيم عليّ السّفسيف

قال السيّد علي خان المدنيّ(ت:١١٢٠هـ) في حقّ أستاذه الشّيخ جعفر بن كمال الدّين البحرانيّ(١٠١٤-١٠٩١هـ): "شيخي الأفضل، وأستاذي الأكمل، مجمع الفضائل والآداب، ومرجع الأفاضل في كلّ باب"[١].

وليس في قوله أنّه "مرجع الأفاضل في كلّ باب" مبالغة؛ فقد أجمع مترجمو الشّيخ على ذلك، ومنهم الشّيخ يوسف العصفور(ت:١١٨٦هـ) حيث قال عنه: "كان علَمًا علّامةً فقيهًا محدِّثًا نحويًّا عروضيًّا قارئًا"[٢].

[١] رحلة ابن معصوم أو سلوة الغريب: ٦١.

[٢] الكشكول المسمّى أنيس المسافر وجليس الحاضر: ٢/ ١٠٥٠.

كما قال عنه مؤرّخ الهند الشّريف عبدالحيّ بن فخر الدّين الحسنيّ: "صار المرجع[الشّيخ جعفر] والمقصد في أرض الدّكن"[1].

في التّصوّر القاصر، وبعد تحقيق كلّ ما وصلتُ إليه من آثار الشّيخ ابن كمال الدّين[2]، فإنّ جانبًا مهمًّا من شخصيّته بقي تحت الآضواء، وهي كونه شخصيّة قرآنيّة بامتياز، حيث كان قارئًا للقرآن الكريم، وعارفًا بالقراءات القرآنيّة، وله آراؤه الخاصّة في مسائلها وقضاياها المتعدّدة.

ومع كوني قد عملتُ على توضيح آرائه الفقهيّة المتعلّقة بالقرآن الكريم في مخطوطة (أحكام المصحف والتّلاوة في الرّسالة الرّجزيّة: الكامل في الصناعة)، إلّا أنّ آراءه في المسائل والقضايا القرآنية لاتزال بعيدة عن معرفة المختصّين.

في هذه الكُنّاشة أستقصي آراء الشّيخ ابن كمال الدّين القرآنيّة من رسالته الرّجزيّة تلك، ماعدا المسائل والقضايا الثّلاث الكبرى (فضائل القرآن/سلامة القرآن عن التّحريف/القرءات القرآنيّة) حيث درستُها في مخطوطة (مظهرة البراعة.. قضايا علوم القرآن في الرّسالة الرّجزيّة).

إذْ قمتُ -بعد استقصاء آرائه القرآنيّة- بتبويبها وعنونتها، مع نقلها نصًّا دون تغيير؛ حفظًا للمعنى المراد من قبله. وإنْ استلزم الأمر إلى توضيحٍ أو بيان يسيرين أوردتُه في الهامش. وقد جاءت تلك الآراء القرآنيّة على النّحو الآتي:

---

[1] الإعلام بمَن في تاريخ الهند من الأعلام، ٥/٥١١. وأرض الدّكن أو هضبة الدّكن إقليم جنوب الهند.

[2] جمعتها في مخطوطة (الآثار غير الكاملة للشّيخ جعفر بن كمال الدّين البحرانيّ). كما درست حياته في مخطوطة (الشّيخ جعفر بن كمال الدّين البحرانيّ.. سيرته ونتاجه).

وجه الإعجاز

١. إِعْجَازُهُ فَصَاحَةُ البَيَانِ .. فِي اللَّفْظِ وَالكَمَالُ فِي المَعَانِي

حَتَّى تَحَدَّى عَرْبَهُ العَرْبَاءَ .. بِمِثْلِهِ فَأَظْهَرُوا الإِعْيَاءَ

وَآثَرُوا الحُرُوْبَ وَالقِتَالَا .. مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْرُوا لَهُ مِثَالَا

لَا فِي حَقِيْقَةٍ وَلَا مَجَازِ .. لِكَوْنِهِ فِي غَايَةِ الإِعْجَازِ

مَعْ حِرْصِهِمْ عَلَى أَذَاهُ جَهْرَا .. عَدَاوَةً وَجَعَلَوْهُ سِحْرَا

وَذَا هُوَ المَشْهُوْرُ فِي الآفَاقِ .. بَلْ كَادَ أَنْ يَكُوْنَ بِاتِّفَاقِ

وَقَالَ بَعْضٌ إِنَّهُمْ قَدْ صُرِفُوا .. وَأَوَّلُ القَوْلَيْنِ عِنْدِي أَعْرَفُ.

في وجه إعجاز القرآن الكريم أقوال كثيرة نافت عن العشرين، أهمّها ستّة أقوال، وهي: الأوّل: في فصاحة الألفاظ وبلاغة معانيه، الثّاني: الصّرْفَة، صرْفُ قدرةِ العرب عن الإتيان عن معارضته، الثّالث: إخباره بالمغيّبات، الرّابع: كونه كلام الله، الخامس: خلوّه من التّناقض، السّادس: كونه مُخترَع الأساليب مُباين السّمع. والأوّل هو المشهور، بل يكاد يكون عليه الاتّفاق[١].

المصحف الّذي عليه العمل

٢. وَالمُصْحَفُ الَّذِيْ عَلَيْهِ العَمَلُ .. وَسَائِرُ النُّسَخِ مِنْهُ تَنْقُلُ

وَهْوَ الَّذِيْ قَدْ رَجَعَ الصَّحَابَةْ .. لِزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ كِتَابَهْ

[١] الشّيخ جعفر بن كمال الدّين البحرانيّ، الكامل في الصّناعة، البيت: ٦٣-٦٩ مع الهامش.

وَصَارَ مِنْهُ نُسَخٌ ثَمَانِي .. شَامِيُّهَا وَقَبْلَهُ اليَمَانِي

فَكُوْفَةُ وَطَيْبَةُ المُنِيْفَةْ .. وَبَصْرَةُ وَمَكَّةُ الشَّرِيْفَةْ

وَبَلْدَةُ البَحْرَيْنِ فِيْهَا سَابِعُ .. وَثَامِنٌ هَوَ الإِمَامُ الشَّائِعُ[1].

كيفيّة الوحي

٣. كَيْفِيَّةُ الوَحْيِ إِذَا مَا يُوْحَى .. أَنْ يَضْرِبَ الجَبِيْنُ فِيْهِ اللَّوْحَا

أَعْنِي بِهَا جَبِيْنَ إِسْرَافِيْلَا .. فَثُمَّ يُلْقِيْهِ لِمِيْكَائِيْلَا

وَذَاكَ يُلْقِيْهِ لِجَبْرَئِيْلَا .. وَجَبْرَئِيْلُ يُبْلِغُ الرَّسُوْلَا[2].

نزول القرآن

٤. وَجَاءَ جُمْلَةً لِبَيْتٍ شُرِّفَا .. وَذَاكَ بِالمَعْمُوْرِ نَبْزًا عُرِفَا

وَبَعْدُ جَاءَ لِلأُمُوْرِ الحَسَنَةْ .. مُنَجَّمًا مُدَّةَ عِشْرِيْنَ سَنَةْ[3].

٥. نُزُوْلُهُ فِيْ لَيْلَةِ القَدْرِ ثَبَتْ .. كَمَا بِهَا الأَقْدَارُ كُلٌّ كُتِبَتْ

وَهْيَ عَلَى الأَرْجَحِ بَيْنَ القَوْمِ .. ثَالِثَةُ العِشْرِيْنَ شَهْرَ الصَّوْمِ[4].

٦. وَأَوَّلُ القُرْآنِ سُوْرَةُ "العَلَقْ" .. وَآخِرُ "النَّصْرِ" وَفَتْحِ مَا انْغَلَقْ[5].

---

[1] السّابق، البيت: ١٧٤-١٧٨.

[2] السّابق، البيت: ١٨٢-١٨٤.

[3] السّابق، البيت: ٢٠٦-٢٠٧. والبيت المعمور: يقع في السّماء الرّابعة أو السّابعة قبال الكعبة.

[4] السّابق، البيت: ١٦٤-١٦٥.

[5] السّابق، البيت: ١٦٦.

٧. وَرُبَّمَا شُيِّعَ فِي النُّزُوْلِ .. وَذَاكَ فِي الفَاضِلِ لَا المَفْضُوْلِ[١].

٨. وَبَعْضُهُ سُبِّقَ فِي التَّنْزِيْلِ .. مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزِلَ لِلرَّسُوْلِ

عَلَى نَبِيٍّ قَبْلَهُ كَمَا حَكَى .. فِي قَوْلِهِ في ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ا[٢].

٩. وَرُبَّمَا تَأَخَّرَ النُّزُوْلُ .. عَنْ حُكْمِهِ وَالعَكْسُ قَدْ يَحُوْلُ[٣].

١٠. وَبَعْضُهُ نُزُوْلُهُ قَدْ كُرِّرَا .. لِسَبَبٍ وَالبَعْضُ كَانَ أَبْكَرَا[٤].

١١. نُزُوْلُهُ جَاءَ عَلَى أَسْبَابِ .. يَعْرِفُ وَجْهَهَا أُوْلُو الأَلْبَابِ[٥].

١٢. وَقَدْ رَوَوَا نُزُوْلَهُ أَسْبَاعَا .. وَجَاءَ أَثْلَاثًا وَجَا أَرْبَاعَا[٦].

١٣. وَكُلُّ عَامٍ يَقْرَأُ الرَّسُوْلُ .. مَا قَدْ وَعَى سَامِعُهُ جِبْرِيْلُ

تَعَبُّدًا لَا حَذَرَ النِّسْيَانِ .. فِي ﴿سَبِّحِ اسْمَ﴾ أَوْضَحُ ا لبَيَانِ

وَآخِرُ الأَعْوَامِ فِيْهِ قَدْ قَرَا .. مُكَرَّرًا وَقَدْ أَرَاهُ اشْتَهَرَا

إِذْ قَدْ رُوِي العَرْضُ بِكُلِّ لَيْلَةِ .. مِنْ رَمَضَانَ وَهْوَ وَاهِي الحُجَّةِ[٧].

---

[١] السّابق، البيت: ١٦٧. كسورة الأنعام وآية الكرسيّ.

[٢] السّابق، البيت: ١٦٨-١٦٩. والآية: (الأَعْلَى:١).

[٣] السّابق، البيت: ١٨٠.

[٤] السّابق، البيت: ١٨١.

[٥] السّابق، البيت: ١٨٥.

[٦] السّابق، البيت: ١٨٦. عَنِ الأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ(عليه السّلام) يَقُولُ: "نَزَلَ الْقُرْآنُ أَثْلاثًا: ثُلُثٌ فِينَا وفِي عَدُوِّنَا، وثُلُثٌ سُنَنٌ وأَمْثَالٌ، وثُلُثٌ فَرَائِضُ وأَحْكَامٌ". وعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ(عليه السّلام) قَالَ: "نَزَلَ الْقُرْآنُ أَرْبَعَةَ أَرْبَاعٍ: رُبُعٌ فِينَا، ورُبُعٌ فِي عَدُوِّنَا، ورُبُعٌ سُنَنٌ وأَمْثَالٌ، ورُبُعٌ فَرَائِضُ وأَحْكَامٌ". الشيخ الكلينيّ، أصول الكافي، ٨٢٢/٢.

[٧] السّابق، البيت: ١٧٠-١٧٣. الآية: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾(الأعلى: ٦).

تأويل القرآن

١٤. وَكُلُّ مَا آلَ إِلَى التَّأْوِيْلِ .. فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ لِلدَّلِيْلِ[١].

عدد سور القرآن

١٥. سُوَرُهُ لِمَنْ أَرَادَ حَصْرَهْ .. مِائَةُ سُوْرَةٍ وَأَرْبَعْ عَشْرَةْ[٢].

مقاطع القرآن

١٦. وَيَنْبَغِي مَعْرِفَةُ المَقَاطِعِ .. وَعَدُّهَا بِجُمْلَةِ الأَصَابِعِ[٣].

لغة القرآن

١٧. وَقَدْ أَتَى بِالرَّمْزِ وَالإِشَارَةْ .. كَمَا رَوَاهُ ابْنُ أَخِيْ زُرَارَةْ

فِيْمَا إِذَا أَتَى العِتَابُ قَوْلَا .. فِي ظَاهِرٍ نَحْوَ ﴿لَئِنْ﴾ وَ﴿لَوْلَا﴾

كَالرَّمْزِ فِيْ قَوْلِ فَتَى فَزَارَةْ .. "إِيَّاكِ أَعْنِيْ وَاسْمَعِيْ يَا جَارَةْ"[٤].

النّسخ في القرآن

١٨. وَنَسْخُهُ بِثَابِتٍ مَقْطُوْعِ .. فِي مَتْنِهِ قَدْ بَاءَ بِالوُقُوْعِ

---

[١] السّابق، البيت: ١٨٩. وتأويل: صرف اللّفظ عن معناه الحقيقيّ. ويأتي بمعنى التّفسير أيضًا.

[٢] السّابق، البيت: ١٩٠.

[٣] السّابق، البيت: ١٩٧. والمقاطع: كتابة الكلمة مفصولة عن الكلمة الّتي تليها في رسم المصحف، نحو كتابة ﴿أَن لَّن﴾(الانشقاق:١٤). والكلمات التي اتّفقت المصاحف على قطعها ستّ كلمات. وفائدتها معرفة ما يجوز الوقف عليه اضطرارًا واختيارًا.

[٤] السّابق، البيت: ٢٢٥-٢٢٧. والآيتان: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾(البقرة: ١٤٥)، و: ﴿وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾(الإسراء: ٧٤).

كَمِثْلِهِ أَوْ مُتَوَاتِرِ الخَبَرْ .. وَالخَبَرُ الوَاحِدُ لِي فِيْهِ نَظَرْ[1].

أسماء السّور

١٩. وَلَيْسَ مَكْرُوْهًا بِأَنْ تُسَمَّى .. سُوْرَةُ "نُوْحٍ" وَ"الضُّحَى" وَ"عَمَّ"ا

وَالأَفْضَلُ القَوْلُ بِلَا مُنَازَعَةْ .. السُّوْرَةُ المَذْكُوْرُ فِيْهَا القَارِعَةْ[2].

تقسيم آيات القرآن

٢٠. تَقْسِيْمُهُ عَلَى طَرِيْقٍ حَسَنِ .. فَمِنْهُ مَكِّيٌّ وَمِنْهُ مَدَنِي

وَالثَّانِي مَا قَدْ جَاءَ بَعْدَ الهِجْرَةْ .. وَذَا هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ الشُّهْرَةْ

وَغَيْرُهُ يُوْصَفُ بِالمَكِّيِّ .. وَفِيْهِ غِيْرُ قَوْلِنَا المَحْكِيِّ

وَبَعْضُهُ بِغَيْرِ هَذَيْنِ نَزَلْ .. وَحُجْفَةٍ وَمَقْدِسٍ أَيْضًا حَصَلْ

وَمِنْهُ صَيْفِيٌّ مَعَ الشِّتَائِي .. وَمِنْهُ أَرْضِيٌّ مَعَ السَّمَائِي

وَمِنْهُ لَيْلِيٌّ وَمِنْهُ يَوْمِي .. وَمِنْهُ فَرْشِيٌّ وَمِنْهُ نَوْمِي

وَمِنْهُ ذُوْ تَشَابُهٍ وَمُحْكَمُ .. ثُمَّ مُؤَخَّرٌ كَذَا مُقَدَّمُ

وَمِنْهُ ظَاهِرٌ كَذَا مُصَرَّحُ .. وَمِنْهُ مُجْمَلٌ وَمِنْهُ مُوْضَحُ

وَمِنْهُ مَنْسُوْخٌ وَمِنْهُ نَاسِخُ .. يَعْرِفُ ذَلِكَ اللَّبِيْبُ الرَّاسِخُ

وَمِنْهُ مُطْلَقٌ مَعَ المُقَيَّدِ .. وَفِيْهِ مَنْطُوْقٌ بِكُلِّ مَقْصَدِ

---

[1] السّابق، البيت: ٢٩١-٢٩٢.

[2] السّابق، البيت: ٣١٧-٣١٨.

وَفِيْهِ مَفْهُوْمٌ لَهُ أَقْسَامُ .. فِي بَعْضِهَا يَخْتَلِفُ الإِحْكَامُ

وَمِنْهُ أَمْرٌ ثُمَّ نَهْيٌ وَكَذَا .. وَعْدٌ بِخَيْرٍ وَوَعِيْدٌ فَصْلُ ذَا [1].

أيّهما أعظم: القرآن أم النّبيّ والعترة؟

٢١. وَكَوْنُهُ مِنَ النَّبِيِّ أَفْضَلَا .. فِيْهِ تَرَدُّدٌ لِمَنْ تَأَمَّلَا

وَفِي حَدِيْثِ الثَّقَلَيْنِ أَنَّهُ .. أَعْظَمْ مِنَ العِتْرَةِ فَافْهَمَنَّهُ[2].

القرآن حادث

٢٢. وَإِنَّهُ لَحَادِثٌ مَخْلُوْقُ .. فِي سُوْرَةِ اقْتَرَبْ لِذَا تَصْدِيْقُ

لَكِنَّ هَذَا اللَّفْظَ لَيْسَ يُرْتَضَى .. إِذْ يُفْهِمُ الكِذْبَ لِقَوْلِ المُرْتَضَى

وَمَا رَوَوْهُ لَيْسَ بِالمَخْلُوْقِ .. أَيْ لَيْسَ مَكْذُوْبًا فَخُذْ تَحْقِيْقِي

شَاهِدُهُ فِي "العَنْكَبُوْتِ" يُحْكَى .. فِيْ قَوْلِهِ ﴿وَتَخْلِقُوْنَ إِفْكًا﴾[3].

المؤمن الذي لا يُحسن القراءة

٢٣. وَكُلُّ مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ عَارِفًا .. بِهِ وَكَانَ اعْتَقَدَ المَعَارِفَا

---

[1] السّابق، البيت: ٤٦٣-٤٧٤.

[2] السّابق، البيت: ٢١٢-٢١٣.

[3] السّابق، البيت: ٤٥٩-٤٦٢. وسورة اقترب: (الأنبياء: ٢) في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾. والآية: (العنكبوت: ١٧). والمرتضى: الشّريف المرتضى(ت:٤٣٦هـ).

عُلِّمَ فِي القَبْرِ لِكَيْ يَنَالَا .. ثَوَابَهُ مِنْ فَضْلِهِ تَعَالَى[1].

القرآن تبيان لكلّ مطلب

٢٤. وَفِيْهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ مَطْلَبِ .. يَعْرِفُ ذَلِكَ الإِمَامُ وَالنَّبِي[2].

يُرفع كما نزل

٢٥. وَإِنَّهُ يُرْفَعُ مِثْلَمَا نَزَلْ .. إِذَا بِهِ اللَّحْنُ لِجَهْلٍ قَدْ حَصَلْ[3].

الأحد: ٢٦ شعبان الخيرات ١٤٤٧هـ/ ١٥ فبراير ٢٠٢٦م.

---

[1] السّابق، البيت: ٢٩٩-٣٠٠. عَنْ حَفْصٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ(عليه السّلام) يَقُولُ لِرَجُلٍ: (...) "يَا حَفْصُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أَوْلِيَائِنَا وَشِيعَتِنَا وَلَمْ يُحْسِنِ الْقُرْآنَ عُلِّمَ فِي قَبْرِهِ لِيَرْفَعَ اللَّهُ بِهِ مِنْ دَرَجَتِهِ". الشّيخ الكلينيّ، أصول الكافي: ٨٠٨/٢.

[2] السّابق، البيت: ٥٨. قالَ تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾.(النّحل: ٨٩). وعَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ(عليه السّلام) فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا﴾(فاطر: ٣٢): "فَنَحْنُ الَّذِينَ اصْطَفَانَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَوْرَثَنَا هَذَا الَّذِي فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ". أصول الكافي: ١٦٣/١.

[3] السّابق، البيت: ٢١١. قَالَ النَّبِيُّ(صلّى الله عليه وآله): "إِنَّ الرَّجُلَ الأَعْجَمِيَّ مِنْ أُمَّتِي لَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِعَجَمِيَّةٍ فَتَرْفَعُهُ الْمَلائِكَةُ عَلَى عَرَبِيَّةٍ". الشّيخ الكلينيّ، أصول الكافي، ٨١٧/٢. قال العلّامة المجلسيّ: "ويمكن أنْ يكون المراد[بِعَجَمِيَّةٍ] أنّه لا يُوافق لهجته أو لا يُراعى محسّنات القراءة أو يقرأ الغلط من غير علم مع بذل الجهد". مرآة العقول: ٥٠٦/١٢.